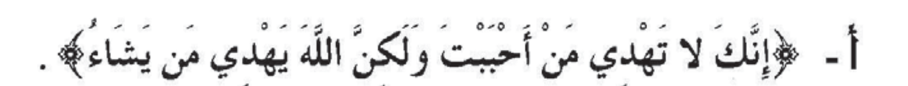


١٨ ـ باب قول الله تعالى



أ ـ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ .

ب ـ وفي الصحيح ، عن ابن المسَيِّب ، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ ، وعنده عبدالله بن أبي أمية ، وأبو

هذا الباب ذكره المؤلف ليبين أن الرسل وأفضلهم محمد ﷺ لا يملكون شيئا من أمر الله إلا ما أعطاهم الله وأنهم لا يستطيعون هداية البشر إلا من هداه الله فهم مربوبون مقهورون ليس لهم من التصرف إلا ما جعل الله لهم . لذلك لا يصلح أن يعبدوا من دون الله ، فهم كسائر البشر لكن الله فضلهم بالرسالة والنبوة فلهم مزيد شرف ولكن هذا لا يجعلهم شركاء لله في تصريف الكون أو علم الغيب وهداية من شاءوا . فإذا كان الرسول لم يستطع هداية عمه أبي طالب وأبي لهب فهذا يدل على أن الهداية بيد الله ويجب طلبها منه سبحانه .

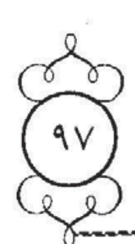
فهذا باب بيان أن الهداية التي مضمونها قبول الحق والرضى به لا يملكها أحد غير الله .

أ ـ أما الهداية التي بمعنى الدلالة والإرشاد والبيان فهي بيد الرسل وأتباعهم من العلماء والدعاة كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي ترشد وتدل وتدعو إلى صراط مستقيم ولكن لا يستطيعوا أن يؤثروا في القلوب حتى تقبل الحق بل هي لله .

ب ـ وفي الصحيح عن ابن المسيب قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ .

لما حضرت : أي علامات قرب الأجل . المسيب بالكسر وبالفتح وهو أشهر عند المحدثين .

جاءه رسول الله : ليدعوه دعوة خاصة عند قرب الأجل وقد دعاه قبل ذلك



جهل ، فقال له : «**يا عم! قل : لا إلـه إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله**» فقالا له : أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فـأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا . فكان آخر ما قال : هو على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول: لا إلـه إلا الله ، فقال النبي ﷺ : «**لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك، فأنزل الله عز وجل﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣] ، وأنزل في أبي طالب : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]**»[٩١] .

كثيرا .ولكنه لم يستجب مع أنـه يعلم أنه حق ولكنه لا يريد أن يجلب المسـبة لقومه على زعمه ولذا قال في شعره :

ولقـد علمت بأن دين مـحـمـد
من خـيـر أديان البـرية دينًا
لولا الملامـة وحـذار مـسـبـة
لوجـدتني مـنشـرحًـا بذاك بـينًا

كلمة أحاج لك بها عند الله : أي أشهد لك بها وأحرص بها على نجاتك .

أترغب عن ملة عبد المطلب : من عبادة الأوثان والأصنام .

فكأن آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب : لأنه قد سبقت له الشقاوة ولم يرد الله له الهدايـة لحكمة بالغة فـهو مـات على دين قومه وهـو الحق وجاءت به الأحاديث الصـحيحة أنه رآه - أي النبي عـليه الصلاة والسلام- في غـمرات من النار فشفع فيه حتى صار في ضحضاح من النار يغلي منها دماغه[٩٢] . أما من قال

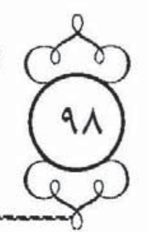
---

(٩١) **صحيح**.

رواه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤) .

(٩٢) **صحيح**.

رواه البخاري (٣٨٨٥) ومسلم (٢١٠) .



. . . .

أنه أسلم فلا أصل له . ففيه أن النبي لا يستطيع هداية أحد من الخلق .

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ فيه تسلية للنبي وتسلية لمن أسلم بعض قومه ولم يسلم بعضهم .



